منع كتاب "مصر بين نكستين" لأيمن منصور ندا من العرض بمعرض القاهرة للكتاب

الثلاثاء 27 يناير 2026 04:30 م

في بلدٍ لا يكفّ إعلامه الرسمي عن ترديد شعارات "الجمهورية الجديدة" و"قوة مصر الناعمة"، يأتي قرار منع كتاب "مصر بين نكستين نظرات في أحوال الراعي والرعية (1952–2025)" للأكاديمي وأستاذ الإعلام بجامعة القاهرة أيمن منصور ندا، من العرض داخل معرض القاهرة الدولي للكتاب، كفضيحة ثقافية مكتملة الأركان، تكشف حقيقة النظرة الرسمية للكتاب والمثقفين والرأي المخالف: الخوف والحصار والإقصاء

لا يقتصر الأمر على كتاب واحد أو مؤلف واحد؛ القرار شمل كتبه غير الأكاديمية كلها، وتزامن مع منع دار المرايا للثقافة والفنون من المشاركة في المعرض للعام الثاني على التوالي، في رسالة لا لبس فيها: المعرض مفتوح للكتب المريحة للسلطة، مغلق في وجه أي قلم يجرؤ على النقد الجاد أو تفكيك بنية الاستبداد

هكذا يتحول أكبر حدث ثقافي في مصر والعالم العربي إلى نسخة سياسية باهتة، تُقصى منها الكتب "المزعجة"، ويُسمح فيها بما يخدم رواية النظام ويُزيّن صورته، فيما يُدفع بالمضامين الجادة إلى الهامش أو المنافي الرقمية

منع بلا قرار مكتوب: قمع ناعم يُديره هاتف

بحسب ما أعلن أيمن منصور نـدا، تم إبلاغ الناشـر شـفهيا بمنع الكتاب من التـداول داخل المعرض، مع تعليمات بالتخلص من النسخ المطبوعة، دون إخطـار رسـمي أو قرار مكتوب، ودون حتى تكلّف عنـاء اختراع مبرر قـانوني أو مهني. هـذا النمـط من "الإدارة بالتلفون" ليس جديـدًا؛ بل هو أحـد أبرز ملامـح السـلطة في مصـر خلال السـنوات الأخيرة: قرارات تمس حرية التعبير وحقوق المواطنين، تُتخذ في الظل، بلا شـفافية ولا مسؤولية.

يقـوم الكتـاب على تحليـل تحوّلات مصـر السياسـية والاجتماعيـة خلال نحو 75 عامًا، مـن 1952 حـتى 2025، عـبر مقارنـة بين نكسـة 1967 ومـا يسـميه المؤلف "النكسة الثانية" في الحاضر؛ أي انهيار السياسة والعقل العام تحت وطأة الاستبداد والفساد وغياب المحاسبة. مجرد هذه الفكرة كافية لتفسـير الهلع الرسمي من الكتاب، فهو لا يكتفي بانتقاد بعض السياسات، بل يضع النظام الحالي في سياق تاريخي كامتداد لنسق نكسة قديمة متجددة.

بدل أن يرد النظام بالحجة، أو يترك المجال للنقاش العام حول أفكار الكتاب، اختار الطريق الأسهل: المنع والإخفاء.

لكن المفارقـة أن هـذا المنع لا يوقف تـداول الأفكـار، بـل يضـاعف الاهتمـام بهـا؛ فالكتـاب لا يزال متاحًا إلكترونيًا على منصات مثـل "أبجـد" و"أمـازون – كينـدل"، ومتوافر ورقيًا بشـكل محـدود خـارج المعرض. مـا يُمنَع حقيقـة ليس الكتـاب بقـدر مـا يُمنَعُ الاعتراف بحق المصـريين في الوصول الحر إلى الآراء الناقدة داخل أكبر تظاهرة ثقافية في بلدهم.

والأهم أن اسـتهداف نـدا ليس معزولًا عـن ماضيه: فهـو أكـاديمي عُرف بمـواقفه النقديـة للإعلام الرسـمي والمنظومـة الدعائيـة للنظـام، وتعرض للاعتقـال في أيلول/سـبتمبر 2021 على خلفيـة آرائه، قبـل الإفـراج عنه بعـد نحـو شـهرين. اليوم يُسـتكمَل مسـار "العقـاب النـاعم": لا سجن، بل حصار فكري ومنع كتبه من التداول.

معرض كتاب أم معرض انتقاء سياسي؟ استبعاد دار "المرايا" نموذجًا

في الوقت الـذي تُمنع فيه كتب نـدا، تعلن دار المرايـا للثقافـة والفنون أنهـا مُنعت من المشاركـة في معرض القـاهرة الـدولي للكتـاب للعام الثاني على التوالي، بعـد حذف اسـمها من منصة التسـجيل الإلكترونية دون إخطار أو تفسـير. الدار ليست كيانًا مجهولًا؛ بل واحدة من الدور التي نشرت كتبًا نقدية جادة حول الاستبداد، والعدالة الاجتماعية، والتحولات السياسية والاجتماعية في مصر والمنطقة.

اسـتبعاد دار نشـر كاملـة من المشاركـة في المعرض ليس قرارًا تقنيًا أو "سوء تفاهم إداري"، بل تعبير عن سـياسة ممنهجـة لإعادة هندسـة المشهد الثقافي:

دور نشر مستقلة مزعجة تُقصى أو تُهمَّش
كتب ناقدة تُمنع أو تُحاصَر
برنامج ثقافي "آمن" يتجنب الأسئلة الحقيقية عن السلطة والحقوق والحريات

بهذا المعنى، لا يعود معرض القاهرة "سوقًا حرًا للأفكار"، بل معرضًا مُنتقى سياسيًا، يختار من يشارك ومن يُحذف، ومن يُسمح له بالظهور ومن يُدفع إلى العزلة، في محاولة لفرض رقابة مُسبقة على ما يقرأه الناس وما يفكرون فيه

الفكرة الجوهرية هنا أن السلطة لا تريد "ثقافة حية" قادرة على مساءلتها، بل تريد "ديكورًا ثقافيًا" يُجمّل صورتها أمام الداخل والخارج: جناح ضخم، ضيف شرف، فعاليات براقة، مقابل تغييب ممنهج لتيار كامل من الكتاب والمفكرين ودور النشر التي تملك الجرأة على النقد

فضيحة أخلاقية قبل أن تكون سياسية: ماذا يبقى من معرض بلا اختلاف؟

ردود الفعل الغاضبة على منصات التواصل الاجتماعي لم تكن مجرد تعاطف مع مؤلف أو دار نشر؛ بل تعبير عن شعور أوسع بالاختناق داخل المجال العام
كثيرون وصفوا القرار بأنه "مؤسف ومحزن" و"صادم"، وأنه يفضح خوف السلطة من أي رأي نقدي في بلد يواجه أزمات اقتصادية واجتماعية خانقة، بدلاً من أن تستمع لأصحاب الخبرة والرؤى الوطنية، ولو خالفوها

السؤال الذي طرحه كثيرون بمرارة: ما جدوى معرض كتاب بلا آراء مختلفة؟
ما قيمة حدث يُفترض أن يكون مهرجانًا للفكر والنقاش، بينما يُقصى منه أي كتاب يضع الواقع تحت مجهر النقد الجاد؟
كيف يمكن لسلطة تمنع كتابًا تحليليًا عن "النكسة الثانية" أن تدّعي أنها واثقة من نفسها ومن مشروعها السياسي؟

الأمر يتجاوز السياسة إلى أزمة أخلاقية:

حين يُقصى صاحب رأي لأنه مزعج
ويُعاقَب ناشر لأنه منح مساحة لكتاب نقدي
ويُختزل دور المثقف إلى مجرد شاهد زور أو مؤثث جميل لصورة رسمية مُعلّبة

في مواجهة هذا الواقع، يصبح الفضاء الرقمي – كما أشار كثير من المتابعين – متنفسًا رئيسيًا لكسر الحصار: الكتب الممنوعة تُقرأ إلكترونيًا، والآراء المحجوبة تجد طريقها إلى الجمهور عبر المنصات الرقمية، والرقابة تتحول من سيف قاطع إلى عبء ثقيل على سلطة تخشى الكلمة أكثر مما تخشى الانهيار الاقتصادي

مع ذلك، لا يمكن القبول بأن يتحول معرض القاهرة الدولي للكتاب إلى مناسبة رسمية باردة بلا روح، بينما تُترك الحياة الثقافية الحقيقية لتبحث عن مخارجها في الهامش والفضاء الافتراضي فالمجتمع الذي لا يحتمل كتابًا ناقدًا، لن يحتمل في النهاية أسئلة الناس عن الخبز والحرية والكرامة

في النهاية، منع كتاب أيمن منصور ندا واستبعاد دار "المرايا" من معرض القاهرة ليس حادثًا عرضيًا، بل مرآة لوضع أوسع عنوانه: نظام يخاف من الكلمة الحرة أكثر مما يخاف من الفشل والفساد والنكسة المتجددة

وبين "نكسة" 1967 و"النكسة الثانية" التي يحذر منها الكتاب، يبدو أن أخطر ما يهدد مصر اليوم ليس كتابًا على رف، بل سلطة تخشى الحقيقة وتتعامل مع عقول مواطنيها كملف يجب التحكم فيه لا كشركاء في صناعة المستقبل